حماة أمنا !.

حماة ،
يا أمنا !..
أما علمت ؟!،
خطرت في ليلك الغافي !،
أ رأيت طيفاً دون ذاك الحريق عند الحائط المرميِّ ، كان طيفي !.
أحمل صخرة سيزيف على ظهري وخوفي !.
مرتاع أرى البطولة فيك وما لديّ ضعفي ،
والوحش يلتهم المدينة ،
والعيون حزينة ،
والرصاص مطرْ ،
والمآذن ناقوسٌ في وجه القمر !.
وأنا أصيحُ ..
وطفلٌ يصيحُ ..
أنقذوني ، أنا جريحُ !..

وحملته يا أمّ إلى جنح صخرةْ ،
سألته ، من هي حتى تقفَ في وجه وحشٍ كاسرٍ ؟!.
قال ، هي أمي !..
وعيناه تفيضان نهرا ،
كيما أردد أغنيةً منسيّةٍ جعلت في الثرى حفرةْ ،
لأدفن قلبي لك ذكرا ،
كان الفضاء ملاكاً ذبيحاً ،
والأرض أشلاءْ ،
والسماء تجرّ النجوم مجرّةْ ..
والريح تحمل همس الطغاةْ !..
وقطيع ينوء على طول المدى البعيد تحت أيدي الحُماةْ !.
وفي الكهف خائنون يجحظون في خريطةْ ،
يتلعثمون !..
يرتعشون !..
يحدّقون حيث استلقت على طاولةٍ حَماةْ !.
اللؤم في العين أكبرْ !..
الحقد في الحبر أحمرْ !..
وأنت ورقٌ على ورقْ ،
الخلق الأرض السماء ورقْ ،
كان في يد نيرون نارٌ ،
وفي أخرى ورقْ !.

يا طفل ،
ترك لي جدي وصيّةْ !.
قال لا تقترب منهم أو تكونَ شقيّا ..
صادقِ النملَ الكلابَ الوحوشَ وعَمْرَكَ اللهَ لا تقتربْ ،
بحصانِكَ الخشبيِّ دُرْ بين الأحصنةْ !..
لفّ الحدائقَ ..
وامشِ الدروب ،
وامخرْ في أزمنةْ !..
وأمام القلعة انتصب ،
لا تقترب !.
هنا يا بنيَّ غيلانُ الذهبْ ،
لا تقترب !.

وأنا يا طفلُ كنت سنبلةً خضراء طريّةْ ،
أميل مع نسيم الريح ،
أغفو في شمسٍ نديّةْ ،
أحترم جدّي ،
وأحترم الوصيّةْ !.

كان ذات مساءٍ يغني :
غصنَ اليباسِ ،
يا قلبي !.
إلامَ تُلقي بك الريحُ جنبَ غابةْ ؟!،
تحنو عليك الغصونُ ولا يرفُّ حفنُ الحُماةْ !..
هل من بقايا الهشيم أنت ؟!،
أم حصاةٌ في فلاةْ ؟!،
تموتُ كلَّ يومٍ مراراً فهل تذكرُ مازلتَ الحياةْ ؟!.
تلمُّ الآلامَ فيَّ ،
والندى طيفٌ عليَّ !،
ثقب البدر قلبي ،
والناس من حولي غُفاةْ .

يا طفلُ !..
قول جدّي في خاطري !.
وأنا أحترم الوصيّةْ !.

دمشق : 2002
مصر : 2012 ـ 2013